

١٢

# مجلة علوم التربية

دورية مغربية نصف سنوية

ملف العدد :

المجلس الأعلى للتعليم  
وندوة "المدرسة والسلوك المدني"



العدد الخامس والثلاثون - أكتوبر 2007

# الجامعات المغربية الأصيلة؛ القرويين وابن يوسف

• د. رشيدة برادة \*

## تمهيد

عرف المغرب منذ القديم العديد من المعاهد والجامعات الدينية التي كان لها دور كبير في تأصيل العلوم الشرعية والحفاظ على الهوية الدينية والوطنية والثقافية للمجتمع. كما كان لها دور صنع قيادات فكرية وسياسية أسهمت مساهمة فعالة في مكافحة الاستعمار؛ هذا فضلا عن أنها مؤسسات سباقة إلى ممارسة العمل التطوعي، ونكران الذات.

وإذا كانت العديد من المدن المغربية، قد عرفت إنشاء هذه المعاهد والجامعات، فإننا سنركز حديثنا هنا بالدرجة الأولى على جامعتين ترتبطان أما ارتباطا بالتاريخ العلمي والثقافي والديني والوطني لمغرب أمس واليوم، وهما جامعة القرويين بفاس، وجامعة ابن يوسف براكش.

## أولا: جامعة القرويين

تأسس هذا الجامع في قلب مدينة فاس، عاصمة المغرب العلمية، التي أسسها المولى إدريس وجعلها عاصمة له آنذاك. وبحكم موقعها على ضفتي واد الجواهر خصص الضفة الشرقية منها بجالية الأندلس، والضفة الغربية بجالية القيروان. فكان ذلك سببا في تأسيسه لكل جالية جامعها، حيث خص جامع الأشياخ للجالية الأندلسية وجامع الشرفاء لجالية القيروان. وهكذا أخذت المدينة تتسع شيئا فشيئا

\* المعهد الجامعي للبحث العلمي - جامعة محمد الخامس - السويبي

بكترة السكان وزيادة العمران، مما أدى إلى اكتظاظ المساجد بالمصلين، فدعت الحاجة إلى توسيعها وزيادة في عددها، وذلك ما دفع السيدة فاطمة الفهرية إلى تأسيس مسجد القرويين سنة 245هـ.

منذ ذلك الحين اهتم ملوك المغرب بهذا الجامع حتى أصبح من أهم المساجد في المدينة، بحيث أدخلت عليه إصلاحات من حين لآخر فامتدت رحابه وتزايدت حلقاته السلمية.

أ. جامعة القرويين وتدرجها عبر التاريخ : استمرت جامعة القرويين في نشاطها العلمي في عهد الأدارسة ومن جاء بعدهم من دول المغرب، بحيث أكمل المرابطون شكلها على ما هي عليه الآن. وفي عهد الموحدون كانت جامعة القرويين تعادل جامعات الأندلس باجتماع العلماء في رحابها، ولذلك اهتم الموحدون بترميم جوانبها، وإقامة ما يوشك على الانهيار بعد الحريق الذي مس جانبا من جوانبها.

كما عرفت هذه الجامعة ازدهارا في عهد بني مرين، وخاصة لما أصبحت فاس عاصمة ملكهم، حيث اعتنوا ببناء المؤسسات التعليمية فشملت هذه الحركة جامعة القرويين التي حظيت منهم بالترزين؛ وهكذا ظلت هذه المعلمة التاريخية تحظى بالترميم والترزين من طرف الدول التي تعاقبت على الحكم بالمغرب، وذلك ما فعله السعديون وملوك الدولة العلوية الذين ثبتوا أركانها، ونظموا التدريس بها، لما كان لهم من اهتمام بالعلم والعلماء، فقد كانوا يحضرون دروس العلم، ويحضون العلماء على نشره، ويناقشونهم في دقائق الأمور، ويشجعونهم على ذلك بالعطايا، فتنافس العلماء والمتعلمون وأقبلوا على التعلم والتعليم؛ ومما يؤكد اهتمام ملوك الدولة العلوية بهذه الجامعة تحديدهم للدروس والكتب المقررة، حيث كانوا يأمرن بالابتعاد عن بعض الكتب ويقررون بعضها كما فعل ذلك السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي أصدر منشورا يقول فيه: «فإننا أمرنا أن لا يدرسوا إلا كتاب الله تعالى بتفسيره، ومن كتب الحديث المساند والكتب المتخرجة منها والبخاري ومسلما وغيرها من الكتب الصحاح...، إلى أن قال، وأن يصلوا طلبة البادية فإنهم يأتون من بلدهم بنية خالصة في التفقه في الدين وحديث رسول (ص)، فحين يسمعونهم يدرسون هذه العلوم التي نهينا عنها يظنون أنهم يحصلون على فائدة بها، فيتركون مجالس التفقه في الدين واستماع حديث رسول الله (ص)، وإصلاح ألسنتهم بالعربية، فيكون ذلك سببا في ضلالهم»<sup>1</sup>.

من خلال تتبعنا للمنشور السالف الذكر، تظهر الأهمية الكبرى التي كان يوليها السلطان للمواد الإسلامية التي يسمح لها بأن تدرس داخل جامع القرويين، وأيضا يظهر عزوفه عن بعض المواد الأخرى فأمر بالابتعاد عنها، إلى درجة إلحاق العقوبة بمن يدرسها أو يدرسها، وذلك بدعوته إلى الرجوع لأمتهات الكتب السهلة الواضحة ونبذ للمختصرات والشروحات المعقدة. إلا أن السلطان مولاي سليمان لما أفضى الأمر إليه، خالف سنة والده بحثه على حفظ مختصر خليل ومنحه لحفاظه تشجيعات مادية.

لقد شكلت القرويين جامعة إسلامية كبيرة، مما جعلها تستهوي الفقهاء والعلماء والمفكرين والطلاب الذين وفدوا إليها من مختلف مناطق المغرب وخارجه. حيث أصبحت مركزا للبحث والمعرفة والجدل والمناظرة. ففيها تم إرساء "علوم الإسلام ومعارف البشرية، وفي رحابها تم وضع أسس المذهب المالكي في

المغرب والأندلس، وألّفوا أمهات الكتب التي انتشرت في مختلف المعاهد والكلّيات في العالم الإسلامي من المغرب إلى الهند فكانت عامل وحدة بين الشعوب الإسلامية وأداة لتطوير اللغة العربية وازدهار المعرفة<sup>(2)</sup>

ب. خصائص التعليم بالقرويين: نعلم أن جامعة القرويين كانت تفتح أبوابها للطلبة الذين مروا من الطور الثاني من التعليم، أي الذين يكونون على حظ كامل من النص القرآني والمثون المتعلقة باللغة كالألفية والأجرومية، أو المتعلقة بالدين كمختصر خليل وغيره، وهي مرحلة تعتمد بالأساس على الحفظ الذي هو من خصائص التعليم، والتي تعتبر ظاهرة عابها بعض النقاد والمؤرخين بدعوى أن الحفاظ «يفترسون الوثائق ولا يهضمونها، يتلعون العبارات كما يحفظونها ولا ينسقون بين معارفهم، حتى أنك لو حاولت استخراج ما عندهم لاستطعت أن ترجع كل كلمة إلى مصدرها، وكل جملة إلى صاحبها»<sup>(3)</sup>، وهو قول أشار إليه ابن خلدون من قبل حيث قال: «فتجد طلاب العلم، بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية، سكوّتا لا ينطقون ولا يفاوضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة، وإلا فحفظهم أبلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكية العلمية وليس كذلك»<sup>(4)</sup>.

إلا أن علماء القرويين وفقهاءها ظلوا متشبّثين بظاهرة الحفظ إلى درجة أنهم كانوا يميزون بين الطلبة بميزة الحفظ، لهذا تجد الطالب يشحن ذاكرته بالمختصرات والشواهد وأقوال المتقدمين، يستعملها في ميدان التعليم والفتوى والقضاء مع احترامه النصوص المحفوظة وثقته بها، وإلى هذا الاهتمام الأعمى يشير الحجوي بقوله: «وقد أدى الإكثار في هذه العملية إلى نتائج عكسية، كان لها دور في حالة الجمود التي أصابت الفقه بعد ذلك»<sup>(5)</sup>.

ولما كان الحفظ وسيلة تحفظ منها بعض العلماء، باعتبارها طريقة متعبة وجامدة، فقد حاول بعض الفقهاء تلخيص المؤلفات الضخمة أو اختصارها لتصبح سهلة للحفظ، ولهذا نتجت عن ذلك ظاهرة أخرى، كان لها دور في المجال التعليمي بجامعة القرويين، ألا وهي ظاهرة الاختصار.

يعتبر الاختصار من بين خصائص التعليم بجامعة القرويين، والتي كانت تعتمد كوسيلة لتحصيل العلم، إلا أن نتائجها كانت سلبية، ظهرت على الكتب المختصرة، وبالتالي اكتشفت أغلاط كلفت العلماء واستنفدت جهودهم لتفاديها، حيث إنه مع تعدد المختصرات لكتاب واحد، واختيار الألفاظ التي تفيد الاختصار، كل ذلك أدى إلى الابتعاد عن المعنى الأصلي بتعدد المترادفات اللغوية. وهذا جعل العلماء يلجأون إلى عمليات الشرح بعد الاختصار بوضع حواشٍ تهدف بالدرجة الأولى إلى تقويم الاعوجاج، وإيضاح المبهم من النصوص المختصرة؛ وهكذا نجد أن هذه المختصرات كانت تدرس على علاقتها في القرويين، ومنها مختصر خليل الذي كان يؤخذ بشروحه المتعددة، التي تتطلب مدة طويلة قد تصل إلى أربعين سنة<sup>(6)</sup>.

إذا كانت الخاصيتان السابقتان تعبران عن المستوى التعليمي الذي عرفته جامعة القرويين خلال فترة ما قبل الحماية، وتعتبر أيضا بمثابة تدرج من الرقي إلى الانحطاط في المجال التعليمي، إذ كان الحفظ من خصائص الطالب المجتهد المجد الذي يلتهم متونا ضخمة، وبعدها الاختصار الذي لم يعد يفهم معه معنى النصوص الأمهات، فإن الصفة الثالثة التي عرفها التعليم في القرويين، والتي تعبر عن الجمود والانحطاط، هي التقليد.

لقد انقطع الفقهاء المالكيون عن الاجتهاد واقتصروا على التقليد، بمعنى أنهم اكتفوا بتقليد الأولين فيما اجتهدوا فيه، وانصرفوا إلى شرح كتب القدماء والاشتغال بالحواشي من أجل تصحيح أخطاء المختصرات، وبذلك عم التقليد في وسط الفقهاء وأثر على ثقافتهم وعقليتهم ليبرز بعد ذلك في آرائهم، خاصة في المسائل البعيدة عن الفقه.

ج. محتوى التعليم: ترتبط قضية التعليم واكتساب المعرفة، بظهور الإسلام الذي جاء يأمر بالتعليم والتعلم، وذلك قصد معرفة عبادة الله، حيث لا تصح عبادة الجاهل بأمر الدين، ولهذا ظلت مواد التعليم مرتبطة أشد الارتباط بما يتعلق بالدين والعبادات، وقد تتميز فترة عن أخرى فيما يخص قضية التعليم وازدهاره؛ ويتبع التاريخ المغربي يمكن للباحث أن يتعرف على الذبذبات التي عرفها التعليم ضعفا وازدهارا، تنوعا وإحجاما، تقلصا وتعددا.

ونحن إذا رجعنا إلى القرن التاسع عشر الميلادي نجد أنه يسجل تراجعاً وتقهقراً في ما يخص المواد أو العلوم التي كانت تدرس بجامعة القرويين. وفي ذلك يقول جعفر الكتاني: «والعلوم وإن كثرت أنواعها وتباينت أوضاعها فأجلها فكراً وأرفعها ذكراً وأعظمها وأجملها وضعاً: العلوم الشرعية، التي هي مقاصدها ولأجلها تلمس فوائدها وتقيد أوابدها، إن غيرها من العلوم لها وسائل، وهي واسطة عقد تلك المسائل، لا سيما ما كان متصل الإسناد بالرواية على الشيوخ النقاد» (7).

إن قول الكتاني هذا يقف بنا عند نوعية العلوم التي كان يُهتم بها داخل القرويين منذ القديم، والتي تعتبر أساس العلوم، ألا وهي العلوم النقلية وما يرتبط بها من إسناد ورواية. وهي ظاهرة ورثها الخلف عن السلف، حيث يؤكد ذلك ابن خلدون في مقدمته: «رغم أن هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت أسواقها في هذه الملة، بما لا مزيد عليه، وانتهت فيها مدارك الناظرين إلى الغاية التي فوقها، وهذبت الاصطلاحات وربت الفنون فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتنسيق» (8).

وهذا ما جعل للعلم والمعرفة مفهوماً دينياً، حيث اقتصرت مهمة العالم على الوعظ والإرشاد في إطار حياة دينية، تهدف إلى بناء سعادة الآخرة، ثم يريد الزمان ليفصل بين المعرفة والعلم، فيختص العلم بما هو ديني، والمعرفة بما يقوم على إنتاج العقل البشري (9). وهذا ما جعل علماء القرويين يستغنون عن بعض العلوم العقلية بإقصائها من لائحة المواد التي كانت تدرس بالقرويين، والتي حددها "مارتي" في لائحة لا تزيد عما ذكره "ديلفان"، فيما قيل، هي: الفقه والفرائض والأصول والتوحيد والحديث والتصوف والأمداح النبوية والنحو والصرف والبلاغة والعروض (10)، بينما لم يتعد عدد العلوم التي كانت تدرس بالقرويين حسب اللائحة التي قدمها "بيرتي" في مقال حول مدارس فاس سوى عشرة مواد (11).

والكتابات المغربية في الموضوع لا تختلف عن الكتابات الأجنبية فيما يتعلق بالمواد التي حصرها "ديلفان"، وهي: علم التفسير علم الحديث، الأصول، الفقه، النحو، البيان، المنطق، الحساب، التنجيم، الكلام، التصوف، اللغة، التصريف التوحيد، التاريخ والجغرافية، الطب، القضاء والأحكام، والأدب (12).

إلا أن بعض هذه العلوم اختفى بأمر السلاطين كما هو الشأن بالنسبة لسيدي محمد بن عبد الله الذي منع تدريس التصوف وعلم الكلام وعلم المنطق وعلوم الفلسفة.

هذا، ويمكننا أن نتساءل عن الأسباب التي كانت وراء هذا التراجع، وهو سؤال يمكن إيجاد الإجابة عنه عند المنوني<sup>(13)</sup> الذي يعزو هذا التراجع إلى العقلية المتحجرة للعلماء، وإلى الظروف التي عاشها المغرب منذ القرن السادس عشر، حيث أصبح الأجنبي يحاصر السواحل ويتحكم في موارد العيش، فكان للتراجع الاقتصادي دور كبير في التراجع الفكري والثقافي؛ إلا أنه رغم ذلك ظلت محاولات إحياء التدريس المتعلق ببعض العلوم، كالحساب والهندسة، تعرف نوعا من التشجيع من طرف المخزن، مما يدل على الارتباط الوثيق بين الواقع الفكري والظروف العامة للمجتمع.

د. طلاب جامعة القرويين: لقد شكلت مدينة فاس بجامعتها « القرويين » ملاذا للطلاب العلم من جميع جهات المغرب، حيث كان يؤمها الطلبة قصد تعميق معارفهم وتنمية دراستهم وتتميمها. فهي بذلك تعتبر المرحلة العليا الحقيقية في التكوين العلمي بالمغرب في القرن الماضي. وكان هناك نوعان من الطلبة: الفاسيون والقادمون من جهات أخرى وهم الأفاقيون<sup>(14)</sup>. والطلبة الفاسيون ينتمون إلى عائلات علمية مشهورة، يقطنون مع ذويهم، مما يجنبهم المشاكل التي ظلت مطروحة أمام الطلبة الأفاقين الذين هم في حاجة إلى المساعدة وإعانة الأحباس. وهذه الخصوصية التي كانوا يتميزون بها هي التي دفعت المؤرخين الأجانب إلى التعاطف معهم بالتركيز على وصف حياتهم وشؤونهم دون غيرهم؛ وهذا ما أدى إلى وجود نوع من التناقض بين فئتي طلاب القرويين وإلى عدم تجانسهما<sup>(15)</sup> لاعتبارات اجتماعية وحصارية، فكان لذلك أثره على تكوينهم وتوجيههم العلمي، إذ كان الطالب المدني يتجه في الغالب توجها أديبا رغم هيمنة دروس الفقه، وذلك من أجل الحصول على وظيفة أستاذ داخل الجامعة أو على وظيفة الكتابة في ديوان المخزن (البنيقة)؛ في حين نجد الطالب الأفقي يهتم اهتماما كبيرا بالفقه، بحفظه لمختصر خليل و تحفة الأحكام، وذلك بهدف الحصول على وظيفة القضاء أو العدالة والرجوع إلى باديته ككفيه للتدريس وإكمام في المسجد.

وإذا استعرضنا المشاكل التي كانت تطرح أمام الطلبة الغرباء، فإننا نجد أن أهمها مشكل السكنى الذي كان يحول دون إكمال بعض الطلبة لدراساتهم بالقرويين، أو يدفع بعضهم إلى البحث عن مسكن في إحدى المدارس الست التابعة لجامعة القرويين، فيصبح عائلة على الأحباس<sup>(16)</sup>؛ أو أنه يبحث عن الاستقرار مؤقتا عند بعض الرفقاء، مما كان يشكل عائقا في السيرة العلمية للطلبة الأفاقين.

ويبدو أن العديد من المدارس التي كان الطلبة يسكنون فيها تحتاج إلى الإصلاحات، كما يظهر ذلك جليا في رسالة الحجوي وزير المعارف آنذاك إلى « ميلي » Melier رئيس الشؤون الأهلية بفاس المؤرخة في 22 فبراير 1913 والتي جاء فيها: « إنني زرت سبعة مدارس فاس القديمة لكون خمسة منها معمورة بطلبة العلوم العربية وهي من الآثار التي تستحق الاعتبار لكونها أثرا علميا وأثرا صناعيا، فإن فيها من صنائع البناء العربي القديم ما يوجب الالتفات وقد تطوفتها فوجدت جميعها محتاجا إلى الإصلاح وفي بعضها ما تلاشى وأشرف على السقوط بحيث لو لم يتدارك لانهى خبره كان<sup>17</sup> ».

ولقد كان الطلبة يعانون من نقص في بيوت الإيواء بالمدارس، خاصة عندما صدر الأمر بهدم أربعة عشر حجرة من المدرسة المصباحية، الأمر الذي عمم الاستياء في أوساطهم، وجعلهم يعانون من مشكلات السكن وعدم الاستقرار للتفرغ للدراسة والتحصيل.

وواقع أن الطلاب لم يكونوا يعانون من مشكلات تتعلق بالسكن فحسب، وإنما كانوا يعانون كذلك من عدم وجود دخل يوفر لهم تغطية متطلبات الحياة اليومية، خاصة ما يتعلق منها بالتغذية فيضطرون في بعض الأحيان إلى طرق أبواب بعض الأسر الكبيرة في المدينة من الحصول على الطعام الذي كان يدعى « الرتبة »، وهي « وجبة من الكسكوس يتسلمها من يد الخادمة، ومن آداب الرتبة أن يقصد الطالب منزلا ليلا وينقر الباب بأدب ويضع قب جلبابه استحياء...»<sup>18</sup>. ولقد كان الطعام الذي يحصل عليه الطلبة ليس من باب الشفقة والتصدق عليهم، وإنما هو احترام لطلبة العلم والمعرفة التي يقدرها المجتمع وهي تدخل في إطار البر والتقوى.

هذا، وقد كان جل الطلبة يحصلون في أوقات الرخاء بصلة مادية من السلطان ومنحة شهرية من الأعباس خاصة بالنسبة لطلبة قراء الحزب ( القرآن والشيخ خليل). ويضطر بعض الطلبة لتغطية مصاريفهم اليومية إلى العمل في بعض المساجد الصغرى كأئمة. كما كان الطلبة الوافدون على المدينة يقصدون المقابر يوم الجمعة لتلاوة القرآن مقابل الحصول على ما يعينهم على تغطية حاجاتهم اليومية.

أما فيما يخص التحاق الطلبة بجامعة القرويين، فإن ذلك كان لا يخضع لتسجيل رسمي، وإنما كان يتم بمحض اختيار الطالب للحلقة التي يريد الأخذ عن عالمها، إذ يجلس في المرة الأولى وبعد الاستماع، أي عند نهاية الحصة، يأتي عند الشيخ ليقبل يده أو كتفه وحينها يتعرف الشيخ عليه؛ أما كيفية إلقاء الدرس فإنها تبدأ بقراءة النص من طرف سارد يعينه الشيخ قبل تحليله وشرحه، وبعدها يبدأ العالم شرحه شرحا لفظيا، نحوا ومنطقا، ثم ينتقل بعد ذلك مباشرة إلى الشرح العام الذي يوضح فيه قيمة التصنيف مع الاستشهاد بالشروح والحواشي والتعليق العالقة بذكرته. كل ذلك يتم في الوقت الذي يكون فيه الطلبة في حالة الاستماع والإنصات فقط مع تسجيل النقاط دون طرح الأسئلة، وذلك احتراما للعالم وابتعادا من التجرؤ عليه. وقد تطول مدة الدراسة بجامعة القرويين إلى فترة غير محددة حتى يشعر الطالب بتقدمه وقدرته على اجتياز امتحان التخرج، وعندئذ يتقدم إلى شيخه أو شيوخه بطلب خطي يستجيزهم بواسطته، وبذلك يتم الحصول على الإجازة<sup>(19)</sup> بعد اجتياز امتحان في المعلومات التي تتوفر لديه حول مادة علم من العلوم.

### ثانيا: جامعة ابن يوسف

أسسها علي ابن يوسف ابن تاشفين سنة 514 للهجرة. وكانت آئذ عبارة عن جامع يقوم بنشر العلوم والمعارف في مختلف فروعها بواسطة حلقات الدروس خارج أوقات الصلوات الخمس. ولقد عرف هذا الجامع بعد تأسيسه بضعة شهور المواجهة الفكرية والسياسية والدينية بين قاضي قضاة مراکش، ممثلا للمذهب المرابطي، وبين زعيم الموحدين محمد المهدي بن تومرت الشيعي المذهب، الذي كان لاذعا في نقده لفقهاء

مراكش الذين كانوا يتبعون فروع المذهب المالكي ويقومون بتدريسه في عواصم المغرب آنئذ (مراكش وفاس وأندلس)، عوض العمل بأصول الدين. ولقد تمت هذه المواجهة خلال ندوة علمية انتهت بانتصار المهدي بن تومرت، رغم أن المرابطين كانوا يؤيدون فقهاء مراكش في آخر دولتهم<sup>20</sup>.

غدا جامع ابن يوسف بفضل إشعاعه الفكري الذي ذاع صيته قبله للعديد من العلماء والمفكرين في أواخر الدولة المرابطية ومشارف الدولة الموحدية، حيث هجر إليه كثير من الفقهاء والأدباء والعلماء والشعراء والفلاسفة والأطباء من مختلف مدن الأندلس، وخاصة أشبيلية وقرطبة وغرناطة، واستقروا في هذا الجامع؛ وأصبح بعضهم مستشارا للدولة المرابطية أو الموحدية، وهما دولتان عظيمتان عرف المغرب خلال حكمهما تطورا فكريا وحضاريا هاما<sup>21</sup>.

1. من جامع (مسجد) إلى جامعة: لقد تحول جامع ابن يوسف في مراكش سنة 1939 من مؤسسة دينية تحمل اسم "الجامع" إلى مؤسسة تعليمية عليا "جامعة" تعنى بالدراسات الإسلامية المتخصصة في علوم القرآن والحديث والفقه والأصول، وعلوم النحو والصرف، والبلاغة والعروض، والتاريخ والجغرافية، والرياضيات، والمنطق، والفلسفة، وفنون الآداب.

ومنذ أن أصبحت هذه المؤسسة تحمل اسم "جامعة ابن يوسف" غدت تخضع في نظامها الدراسي إلى النظام الذي حدده المسئولون عن التعليم الأصلي في المغرب، والذي يجتاز فيه الطالب ثلاثة أسلاك، وهي:

أ. سلك التعليم الأولي: ويتم خلاله قبول الطلاب المتمكنين من حفظ القرآن الكريم وبعض متون الفقه، ومبادئ النحو والحساب، وحفظ بعض روائع الشعر العربي. يقضي الطالب في هذا السلك مدة ثلاث سنوات.

2. سلك التعليم الثانوي: يقبل في هذا السلك الطلاب الذين اجتازوا امتحانات السلك الأول بنجاح، ومدته ست سنوات. وتركز الدراسة خلال هذه السنوات على اكتساب مواد الفقه والقراءات والبلاغة والبيان وتاريخ الإسلام الديني والسياسي.

3. سلك التعليم العالي، النهائي: يقبل في هذا السلك الأخير الطلبة الناجحون في نهاية السلك السابق، ونظامه الدراسي شبيه بما يتم في جامعة القرويين بفاس. يقضي الطالب مدة ثلاث سنوات في هذا السلك يعمق معارفه في الفقه والأصول وتفسير القرآن الكريم. وإذا تخصص الطالب في الآداب فإنه يركز على دراسة التاريخ والنقد الأدبي وعلم الاجتماع الخلدوني، في حين يركز على التعمق في الحديث إذا اختص في العلوم الشرعية.

يحصل الطالب الناجح في امتحان التخرج على شهادة "العالمية"، كما تدعى، بعد النجاح في امتحان كتابي وآخر شفاهي، وإلقاء محاضرة خاصة تحدد اللجنة موضوعها. والشهادة التي يحصل عليها معترف بها من لدن الدولة.

2. طرق التدريس: لا تختلف طريقة التدريس في جامعة ابن يوسف عن غيرها من المعاهد العلمية



الأخرى، حيث كانت جل الحلقات الدراسية النهارية تعقد في جامع ابن يوسف ويشرف عليها كبار العلماء. في حين كانت الحلقات الدراسية الليلية تعقد في الزوايا والأضرحة والمساجد الصغيرة(22)؛ وبما أنها كانت تقدم إلى عامة الناس فقد كانت تتعرض للمواضيع العامة.

كانت تشغل من الأسبوع خمسة أيام، أي من يوم السبت إلى يوم الأربعاء، بينما تخصص حلقات يومي الخميس والجمعة صباحا للتعليق على مختلف النصوص، كما كان العلماء بهذه الجامعة يقتصرون أيام العطل والمناسبات الدينية على شرح كتب السيرة والحديث(23).

أما بالنسبة لمواعيد الدرس، فقد كانت الحلقات الدراسية، تبدأ في الثامنة صباحا(24)، وعادة ما كانت تخصص للفقهاء ثم النحو إلى منتصف النهار، لتبدأ بعد صلاة الظهر حلقات البلاغة والإعراب، أما بعد صلاة العصر، فقد كانت الحلقات العلمية تخصص للشروح والتفسير أما حلقات المساء والتي كانت تعقد في المساجد الصغيرة فقد كانت تتسم بالليونية(25)، سواء في المحتوى أو في طريقة التدريس، وذلك نظرا للنشاط الذي كانت تعرفه مدينة براكش(26).

وفيما يخص الطريقة التي كانت تشكل بها الحلقات الدراسية وطريقة إلقاء الدروس فهي لا تختلف عما كان يجري داخل جامعة القرويين، حيث يتحلق الطلبة حول الشيخ ويبدأ واحد منهم كالعادة يسمى "السارد" ليقرا النص ولا يقاطعه الأستاذ إلا ليصلح نطقا خاطئا أو ليشرح ويعلق.

من خلال ما تقدم يمكن أن نستخلص العلاقة الوثيقة بين المعاهد والجامعات وبين المجتمع الذي تتواجد فيه، فهي قد تشكل صورة واقع هذا المجتمع، كما قد تشكل قاطرة تنميته وتطوره.

#### الهوامش:

- 1 - هاشم العلوي القاسمي، جامع ابن يوسف براكش. النشأة الدور والإشعاع، مجلة دعوة الحق، ص. 9.
- 2 - د. عبد الهادي بوطالب. جامعة القرويين موحة البلاد الإسلامية ومصدر الإشعاع الثقافي. مجلة القرويين، العدد الأول، 1989، ص 21.
- 3 - عبد الهادي التازي، جامع القرويين، م.س. ج 3، ص 737.
- 4 - ابن خلدون، المقدمة، دار الرائد العربي بيروت، 1982، ص 773-774.
- 5 - الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ص. 400 المطبعة الجديدة، فاس بدون تاريخ.
- 6 - الحجوي، المرجع السابق، ص 401.
- 7 - الكتاني جعفر بن إدريس، أعلام أئمة الأعلام وأساتذتها بما لنا من المرويات وأسانيدها، فاس، طبعة حجرية.
- 8 - ابن خلدون، المقدمة...، المرجع السابق، ص 364.
- 9 - العمراني محمد، جامعة القرويين في ما بين 1914 - 1934، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ (1987/88)، ص 28.
- 10 - بعد المواد المذكورة نجد اثنتي عشرة مادة، عوض ثلاثة عشر التي ذكرها العمراني في كتابه جامعة القرويين، المرجع السابق، ص 28.

- 11- Pertié, les médrasas de Fes, , A M, XIII, Rabat, 1912 pp. 334- 344
- 12 - Delphin, Fès son université son université et l'enseignement supérieur musulman, Edition Ernest le Roux, Paris, 1889,pp,30 -41
- 13 - المنوني محمد، مظاهر يقظة المغرب الحديث، مطبعة الأمنية، الرباط 1973 ص 96 وما بعدها.
- 14 - Aubin.(E), le Maroc d'aujourd'hui, Paris, A. Colin, 1913., p. 281.
- 15 - Delphin, Fès son université..., op. cit., p. 22 .
- 16 - الأحباس هي التي كانت تتكلف بالنفقة على طلاب هذه المدارس.
- 17 الحجوي، كناش 129 ح، الخزانة العامة، الرباط.
- 18 العمراني، القرويين، المرجع السابق، ص 99
- 19 - الإجازة هي شهادة علمية تأذن حاملها بممارسة عدة مهن مثل التدريس بالقرويين وغيره من المؤسسات التعليمية، والطالب المجاز لا بد وأن تتوفر فيه بعض الشروط مثل ما جاء فيما يلي: "فالإجازة العلمية لا تعطى إلا للطالب الملازم لشيخه بعد تحصيل العلم والتمرس بفنونه...وظلت في العصور الأولى للإسلام بمثابة تصريح بالصلاحيّة للمهنة والوظيفة كالتدريس والفتيا والقضاء، وكانت عنوانا على تخرج الطالب على شيخه" أنظر التيارات الفكرية...م.س. ص35\_34
- 20 ابراهيم الهلالي، المرجع السابق، ص 370
- 21- المرجع السابق، ص 371.
- 22- ايكلمان ديل أف ، المعرفة والسلطة في المغرب، ترجمة محمد أعيف، مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، ص 152.
- 23 - المرجع السابق، ص 150.
- 24- المرجع السابق، ص 151.
- 25- المرجع السابق، ص 151.
- 26- المرجع السابق، ص 152.

محمد الدريج

# المعايير في التعليم

نماذج وتجارب لضمان جودة التعليم